

## الفصل الثالث

مشكلات البحث فى تعليم الكبار  
كما تعكسها قضاياها

## الفصل الثالث

# مشكلات البحث في تعليم الكبار

## كما تعكسها قضاياها

مقدمة:

بعد أن عرضنا في الفصل السابق للدراسات ذات الارتباط بمشكلات البحث في تعليم الكبار بهدف التعرف إلى أهم هذه المشكلات كما تعكسها تلك الدراسات، يحاول الباحث من خلال هذا الفصل التأصيل لأهم مشكلات البحث في تعليم الكبار والتي تعكسها بعض قضاياها.

ومما لاشك فيه أن مشكلات تعليم الكبار تتشكل إلى حد كبير بما تفرزه قضاياها من مخرجات، وما يحيط بها من أبعاد . فتعليم الكبار كمجال للدراسة والبحث كما يشترك مع غيره من مجالات في البحث التربوي في بعض القضايا والمشكلات فإن له أيضاً أبعاداً خاصة به ترتبط بهويته والمفاهيم المستخدمة في إطاره وطبيعة مجالاته، ومؤسساته وتمويل برامجه، وأدواته، ومقاييسه المستخدمة في بحوثه وغير ذلك.

إن عرض قضايا تعليم الكبار ليسهم إسهاماً كبيراً في فهم أكثر وتحليل أعمق لمشكلات البحث فيه، بل إنه ليس ثمة مبالغة في التقرير بأن هذا العرض يوفر أساساً لتطلق منه البحوث في مجال تعليم الكبار وتتبع أهم مشكلاته التي يمكن أن تمثل موجبات لبحوثه. ويشير هاموند Hammond<sup>(1)</sup> إلى أهمية وصّوح قضايا تعليم الكبار ووضعها في الاعتبار قبل أن يبدأ المهتمون بتعليم الكبار في القيام بإجراء البحوث، أو التخطيط لمشروعات بحثية أو تقويمية كإجراء أولى قبل تحديد هدف البحث ومشكلته ومنهجه وغير ذلك. وعنده أن ذلك يؤدي بالإضافة إلى تجويد البحوث، يؤدي أيضاً إلى ربط البحوث بواقع تعليم الكبار، وأن تصبح البحوث بمثابة حلول إجرائية للمشكلات التي تواجه تعليم الكبار.

ولما كان البحث في قضايا تعليم الكبار أمراً هاماً ولازمًا، فإنه يكون ضرورياً الإشارة إلى أهم تلك القضايا التي يمكن أن يكون لها تأثيرها على مشكلات بحوث تعليم الكبار. على أن الباحث سوف يقصر عرضه على الجوانب ذات الارتباط بمشكلات البحوث في كل قضية مما يتم العرض له.

(1)Merryl Hammond (1989) " Issues for adult educators to consider before beginning a research or evaluation project". Adult education Quartetly. V. 39, No.2 Winter. 1989. pp.108-119

وقبل أن يعرض الباحث للقضايا الهامة في مجال تعليم الكبار، فإنه يشير في عجالة سريعة إلى ما ذكره أس Apps عن أهم مسلمات بحوث الكبار حيث تعد مسلمات البحوث وتحديدها إحدى المداخل الهامة التي يمكن أن يبدأ بها الباحث قبل الانخراط في إجراء البحوث. إن تحديد تلك المسلمات يساعد الباحث على إجراء البحوث بطريقة أفضل وتنظيم أكثر وقد عرض أس<sup>(1)</sup> لأهم تلك المسلمات في كتابه المعنون مشكلات في التربية المستمرة. ويمكن تحديد أهم تلك المسلمات فيما يلي :

( أ ) مسلمات البحوث عن الوجود الإنساني: تنحصر تلك المسلمات فيما يلي :

- الأفراد أكثر تشابهاً مع بعضهم البعض أكثر من كونهم مختلفون. ومن ثم فإنه من الممكن أن نكتشف خلال إجراء البحث عوامل عامة يمكن أن تفيد وتخدم التعميمات عن عينات كبيرة من البشر.

- التدريب الفعال أمراً لازماً للفرد الإنسان حيث أنه بدون هذا التدريب فإن الأفراد لا يكون لديهم الكفاية في إجراء وتنفيذ البحوث. وبمثل ذلك فإن الأفراد قد لا يدركون بطريقة مناسبة أنفسهم ومحيط بيئاتهم، كما قد لا يستطيعون التواصل مع حاجاتهم وحاجات الآخرين إذا كانوا بمعزل عن هذا التدريب وبالتالي فإن الباحث الذي يتم تدريبه بطريقة فعالة يمكن بالضرورة أن يكتشف حقائق الحياة عن نفسه وعن الآخرين.

(ب) مسلمات عن المعرفة التي تقود الباحثين في تعليم الكبار:

- يتسم العالم الذي نعيش فيه الآن بأنه عالم المعرفة والمعلومات، والمعرفة ماضية في طريقها رغماً عن الإنسان .

- يمكن اكتشاف المعرفة بطريقة منظمة عن طريق الوسائل الأمبريقية، ومن خلال الخبرة الحسية، وإن لم يستطع الإنسان ذلك فلاشك أن وجوده يصبح محل تساؤل.

- إن صحة المعرفة يعتمد على القدرة على تجاوبها وبالتالي القدرة على قياسها بصفة معادة بحث تصبح النتائج عبارة عن معلومات صحيحة .

- المعرفة قابلة للقياس.

- المعرفة تظهر في أنماط وأشكال، فالموضوعات والأحداث تتسم بالتشابه وهذا هو السدى

يخول أو يجيز تصنيف المعرفة طبقاً لتصنيفات محددة ووظائف وبنية. ومن ثم يكون

تصنيف الأفراد في مجموعات عمرية أو طبقاً للجنس (النوع) أو طبقاً لدوافعهم في التعلم،

أو طبقاً لخلفياتهم الثقافية .

(1)Jerold W. Apps (1979) Op.Cit. pp 177-184

- إن الموضوعات والأحداث والأفراد لا تتغير خصائصها الأساسية عبر الزمن مما يساعد في عمليات التعميم التي يمكن أن تصمد لبعض الوقت .

### (ج) مسلمات عن العلاقة بين الباحث والباحث :

- إن موضوع البحث ما هو إلا موضوع للدراسة يتعامل معه الباحث كموضوع محدد للدراسة دون أن يعنى هذا شيئاً للباحث ، وهو ما يمكن أن تتحقق صفة الموضوعية في البحوث عن طريقه . وكلما جعل الباحث مسافة بينه وبين ما يتم دراسته دون الإخلال بما هو مطلوب من التفاعل تحقق قدراً أكبر من الموضوعية .  
- تقع على الباحث المسؤولية لاكتشاف المعرفة .

### (د) مسلمات عن أهداف البحث :

- المعلومات التي يتم الحصول عليها عن طريق البحث يمكن أن تكون ذات قيمة لمتخذي القرارات إزاء موضوعات محددة .  
- البحث يضيف إلى المعرفة بل يساعد المعرفة على التواصل .  
- يوفر إجراء البحوث للباحث الذي يعمل في الجامعة بصفة خاصة طريقة للترقية والتثبيت كما يوفر له فرصاً للاعتراف به وزيادة مرتبه .

### (هـ) مسلمات عن التناقضات عن البحوث وتطبيقاتها :

عندما يتم اختيار المدخل السائد في البحوث في مجال تعليم الكبار فإنه ليس من الصعوبة أن نجد كثيراً من المسلمات التي تتناقض مع تلك التي تقود الممارسة في المجال ، وأهم هذه المسلمات ما يلي :

- من الضروري لصانعي أديبات تعليم الكبار (المنظرين) لتعليم الكبار، ومصممي البرامج التعرف إلى حاجات المتعلمين الكبار بطريقة مباشرة . والكبار قد لا يعرفون حاجاتهم إلا إذا تعرضوا إلى أداة للكشف عنها .

- تؤكد برامج تعليم الكبار على الطبيعة ذات التوجه الذاتي لتعلم الكبار .

ومن ثم فمن الضروري للباحثين في مجال تعليم الكبار والقائمين على إجراء بحوثه لا بد أن يضعوا تلك المسلمات في اعتبارهم قبل إجراء البحوث لما لذلك من أهمية وضرورة في توجيه البحوث الوجهة المطلوبة . غير أنه من الملاحظ أنه على الرغم من أهمية ذلك فإن الباحثين سرعان ما ينخرطوا في إجراء البحوث دون اعتبار لتلك المسلمات وكأنها ليست لها ضرورة مما يسبب كثيراً من المشكلات قبل وأثناء إجراء البحث .

## قضية المفاهيم وبحوث تعليم الكبار :

تمثل قضية المفاهيم في تعليم الكبار إشكالية للمشتغلين به، كما أن لها تأثيراتها بالضرورة على المشتغلين ببحوثه. ومما لاشك فيه أن وضوح المفاهيم وتحديد لها ضرورته وأهميته في البحث العلمي. ولا يقتصر الأمر في هذا الصدد على لزوم ذلك لمنهجية البحث وإجراءاته فحسب بل أيضا في اختيار موضوع البحث وتحديد عنوانه، وغير ذلك من جوانب هامة تتصل به .

وإذا تتبعنا مفهوم تعليم الكبار نجد أن الأدبيات تركز عليه منذ نشأته في مختلف المجتمعات وعلى مر العصور. وبداية لا بد من التأكيد على أن الأنشطة التعليمية المخصصة للكبار والتي توجد في كل المجتمعات تشكل صيغا مختلفة نتيجة لاختلاف الحاجات للتعلم في المواقف التعليمية المتباينة، وبالتالي لا توجد صيغ محددة لتعليم الكبار تنتشر في كل الثقافات، وإنما الصيغ المختلفة والتي تتطور في الثقافات المختلفة هي عبارة عن الوسائل التي يقدمها المجتمع لتعليم الكبار. ولذا لا يمكن نقل الوسائل التي نشأت خلال ثقافة معينة مباشرة دون تعديل إلى ثقافة مغايرة. كما أن تلك الوسائل لا يمكن أن تستمر لفترة طويلة حتى في موطنها الأصلي ما لم تخضع للتطورات والتغيرات التي تحدث في ثقافتها؛ فصيغ تعليم الكبار التي نشأت مثلا في الثقافة الإنجليزية في القرن الثامن عشر، والتي تعتبر أصل كل صيغ تعليم الكبار في الغرب بأكمله لم تنجح تجربة نقلها حرفيا من مكان إلى آخر وهذا يوضح جانبين هامين ، أولهما : أن هناك خصوصية لصيغ تعليم الكبار حيث أنها نتاج لمواصفات وقيم بيئية ومجتمعية خاصة يصعب نقلها، وثانيهما: هو وجود تنوع شديد في صيغ تعليم الكبار من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر<sup>(١)</sup>. ولعل تعدد وتنوع واختلاف الصيغ المتعلقة بالخبرات الممارسة في مجال تعليم الكبار ينجم عنه كثير من المشكلات في جانب الاستفادة من تلك الخبرات بالدول الأخرى من جانب، وكذا قلة الاستفادة من موروث الخبرة في البلد الواحد من جراء سرعة التغير التي تنتاب الصيغ المحلية من تلك الخبرات من جانب آخر. ويؤكد (بول) <sup>(٢)</sup> أن أي تعريف لتعليم الكبار يجب أن يكون تعريفا نسبيا بالقياس إلى ما يتصل به من حيث البيئة الثقافية والأيكولوجية، والأهداف والمحتوى التعليميين والعقيدة الإنمائية السائدة، والأدوار التعليمية المستعملة (القديمة والحديثة) ومنهجية التعليم والاتصال وبيئات وجماعات التعلم، وبناء على ذلك فإنه من الطبيعي أن يكتسب مصطلح تعليم الكبار نطاقا كاملا من

(١) ضياء الدين زاهر (١٩٩٣) تعليم الكبار - منظور استراتيجي . القاهرة: دار سعاد الصباح ، ط ١ ، ص ٢٥ .

(٢) هـ . س بولا (١٩٩٨) تعليم الكبار - اتجاهات وقضايا عالمية ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

المترادفات وأشباه المترادفات ومن المصطلحات والنوعوت المتداخلة والمتضاربة. والواقع أن مصطلح تعليم الكبار مصطلح حديث جداً فهو مثلاً لم يكون معروفاً فى الولايات المتحدة الأمريكية قبل عام ١٩٢٤ على الرغم من أن تاريخ الفرص التعليمية التى أتاحت للكبار هناك يمتد فى كتابات الأمريكيين إلى ما قبل ذلك بأكثر من ثلاثة قرون . وبالمثل نجد أن مصطلح تعليم الكبار لم يستعمل فى إنجلترا كتعبير ذى دلالة على مجال تربوى معين إلا فى عام ١٩٢٤ أيضاً على الرغم من أن تاريخ تعليم الكبار هناك لم يبدأ إلا من بعض المحاولات التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر<sup>(١)</sup>.

والمدقق فى مفهوم تعليم الكبار Adult Education يلحظ أنه من المفاهيم التى تطورت بسرعة عبر فترة وجيزة من الزمن ، حيث استخدم لأول مرة عن طريق توماس بول Thomas Pole فى كتابه "تاريخ نشأة وتطور مدارس الكبار" والذى نشر فى عام ١٨١٤ وأعيد نشره فى عام ١٨٦٧<sup>(٢)</sup> ، وكان يعنى بتعليم الكبار تدريس القراءة لأغراض دينية وأخلاقية للراشدين . ويشير (فيرنر) Verner إلى أن هذا الغرض الضيق الذى كان يهدف إليه تعليم الكبار هو الذى أسهم فى تقييد حركته فى بداياته<sup>(٣)</sup>. ولم يعرف تعليم الكبار فى الولايات المتحدة قبل عام ١٩٢٤، كما أن مصطلح الأندراجوجى Andragogy الذى يستخدم فى الأدبيات بطريقة واسعة الآن للدلالة به على مسلمات محددة فى جوانب مختلفة من أنشطة تعليم الكبار لم يعرف فى الولايات المتحدة أيضاً إلا فى عام ١٩٦٨ عن طريق مقالة لمؤسسه نولز Knowles بعنوان " أندراجوجى لا بيداجوجى "<sup>(٤)</sup> أعقبها جهد كبير لوضع المصطلح موضع الاستخدام<sup>(٥)</sup> ويؤكد أدوارد لنديمان Edward Lindeman أحد رواد تعليم الكبار فيما

(١) أحمد حسن عبيد (١٩٧٦) تعليم الكبار عبر العصور : فى علم تعليم الكبار ، الجزء الأول ، الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار ، ص ص ٩٩-١٥٤ .

(2) T. Pole (1967) Poles history of adult schools. Washington, D.C. Adult Education Association.

(3) C. Verner (1967) "Introduction and notes " In: T. Pol's History of Adult Schools Ibid, pp 1-72

(4) M. S. Knowles (1968) "Andragogy, not Pedagogy" Adult leadership No. 16, pp.350-386

(٥) لتتبع مستفيض لتطور المفهوم يمكن مراجعة :

محمد المصيلحى محمد سالم (١٩٩٢) دراسة نقدية لمفهوم الأندراجوجى كما يستخدم فى الكتابات التربوية، مجلة كلية التربية ، جامعة الأزهر، العدد ٢١ ، ص ص ١٦٥-٢٠١

تري بوندر Ponder (1) أن مفهوم تعليم الكبار يتضمن أربعة عناصر أو افتراضات رئيسية وهي:

- ١- أن التربية عملية تعلم مدى الحياة .
- ٢- أن تعليم الكبار يتحقق أكثر من خلال المواقف الفعلية وليس من خلال المقررات والمواد الدراسية.
- ٣- أن تعليم الكبار ذو طبيعة لا مهنية، أو يدور حول الأهداف غير المهنية -Non vocational.
- ٤- أن خبرات المتعلمين في تعليم الكبار هي أهم مصادر التعلم .

ويؤكد لندمان بالتالي على أن طريقة المناقشة هي أهم وأنسب الطرق لتعليم الكبار وضرورة أن يركز المنهج على الطريقة بدلاً من التركيز على المحتوى. كما يؤكد على أن التربية يجب أن تتسم بالتعددية الثقافية بدلاً من اعتمادها على ثقافة واحدة للجميع ، ومن ثم فإن برامج تعليم الكبار يجب أن تتحرك تجاه تعليم الجماعات الصغيرة.

وفي واقع الأمر أن مشكلات التعريفات واردة بين الباحثين والمشتغلين بصفة عامة بالمجالات العلمية ، حيث كلما كانت التعريفات محددة وواضحة ومتفق عليها ومفهومة خاصة للقائم بالدراسة كلما تحققت أهداف البحث المنشودة بطريقة أفضل وأسرع ، ويعتبر وجود مفاهيم مربكة أحد المؤشرات الهامة للحاجة إلى مزيد من البحوث في مجال المفاهيم.

وبعيداً عن الحداثة النسبية لمفهوم تعليم الكبار، أو المكونات التي يتضمنها، فإن كثرة المفاهيم الدالة عليه والمرتبطة به يؤدي أحياناً إلى غموض المفهوم أكثر مما يساعد على توضيحه. فكثيراً ما تشير الأدبيات إلى مفاهيم مثل محو الأمية Literacy، ومحو الأمية الوظيفي Functional Literacy ، والتعليم الأساسي Basic Education، والتربية المستمرة Continuing Education، والتربية مدى الحياة Life Long Education ، والتعلم مدى الحياة Life Long Learning، والتربية الدائمة Permanent Education، وتعلم الكبار Adult Education ، وتنمية المجتمع Community Development، والأندراجوي Andragogy وغيرها وذلك للدلالة بها على تعليم الكبار، وهذا هو ما دعا أودي Oddi (2) إلى القول بأن هذا المفهوم يبدو مثيراً للارتباك. نتيجة عدم تحديده، ومن ثم فهي تعزو توجيهه

(1) Sarah Nixon – Ponder (1995) Edward C. Lindeman: leaders in the field of adult education. ERIC. No: ED 380667.

(2) L. F. Oddi (1987) Perspectives on self directed learning . Adult Education Quarterly.38. 21-31

البحوث الهادفة إلى التوصل إلى مفهوم شامل وموحد لتعليم الكبار وكذا الكشف عن القيم والممارسات الخاصة بغياب المفهوم الشامل عنه.

وإذا تتبعنا أحد المفاهيم المحورية المستخدمة في تعليم الكبار وهو مفهوم التعلم الذاتي، وكثرة المصطلحات التي يوردها الباحثون في المجال ليعبروا بها عن هذا المفهوم، يمكن أن نتضح حقيقة إشكالية المفاهيم حيث يطلق البعض على هذا المفهوم اسم التعلم المستقل Independent Learning أو الدراسة المستقلة Independent Study ، بينما يعطى له آخرون اسم التعليم الذاتي Self Instruction وهناك أيضاً من يطلق على التعلم الذاتي اسم التعلم الفردي Individual Learning، والتربية الذاتية Self Education ، والتربية الذاتية المستقلة Independent Self Education، والتعلم بروح المبادرة Self Initiated Learning، والتعلم الموجه ذاتياً Self Directed Learning، والتعلم المخطط ذاتياً Self planned Learning وتدریس الذات Self Teaching، والتعلم الأندراجوجي Andragogical Learning<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإنه ليس ثمة مفهوم محدد لتعليم الكبار، لأن مفهومه يتحدد من خلال وظائفه ومجالاته. كما أن المفهوم كثيراً ما يستخدم للدلالة به على غير ما خصص له، ويزيد الأمر صعوبة عدم تحديد المفهوم في كثير من الدراسات التي يقوم بها الباحثون<sup>(٢)</sup> حيث كثيراً ما يشار إلى تعليم الكبار كمفهوم عام مع أن المفهوم يمكن أن يستخدم مع فئات مختلفة من الكبار منهم الكبار الأميون، والكبار المنخرطون في برامج التدريب ، والكبار من طلاب الجامعة فيما يعرف بتعليم الكبار في المستوى الجامعي، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة فيما يعرف بالتربية المستمرة للمهنيين وغير ذلك .

مما سبق يتضح أن التداخل بين المفاهيم المستخدمة في تعليم الكبار، بالإضافة إلى حداثة بعض مفاهيمه - كمفهوم الأندراجوجي - بالإضافة إلى ضيق النظرة إلى المفهوم وجعله مرادفاً لمحو الأمية يؤدي بالضرورة إلى مشكلات هامة في إجراء بحوثه ولا سيما مع قلة التأصيل لمفاهيمه<sup>(٣)</sup> .

(١) محمد المصيلحي محمد سالم (١٩٩٣) توجهات البحوث المستقبلية في مجال التعلم الذاتي للكبار في مصر. مرجع سابق، ص ص ١٢٩-١٧٥.

(٢) K. Peter Kuchinke (1999). Adult Development toward what end? A Philosophical analysis of the concept is reflected in the research, theory, and practice of human resource development. Adult Education Quarterly. V .49, No . 4, pp. 148-162.

(٣) محمد المصيلحي محمد سالم (١٩٩٢) ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٩-١٧٥.

## قضية مجالات تعليم الكبار وبحوثه :

تتعدد مجالات تعليم الكبار تعدداً كبيراً، ويرتبط هذا التعدد بعدد من المفاهيم المستخدمة فيه، وكذا بالمؤسسات المنوط بها تنفيذ فلسفة كل مجال وتحقيق أهدافه وبرامجه. ولنا بصدد حصر واستعراض تلك المجالات في تفصيل، بل تكفى هنا الإشارة إليها في إيجاز لتحليل واستعراض بعض المشكلات ذات الارتباط بها والتي يمكن أن يكون لها تأثير على بحوث تعليم الكبار. وغالباً ما يشار إلى مجالات تعليم الكبار فيما يلي:

(أ) محو الأمية ويشمل ذلك محو الأمية الهجائية بمعنى تمكين الأميين الكبار الذين فاتهم قطار التعليم من القراءة والكتابة، ومحو الأمية في إطار التربية الأساسية وهو تقديم خدمات تعليمية للأميين تناظر المستويات التعليمية لصفوف التعليم النظامي، وقد تطور محو الأمية الأبجدية لأسباب كثيرة أهمها التسرب، والإحجام بسبب عدم ملائمة البرامج التعليمية لطبيعة الأميين الكبار حيث حدثت نقله تجاه محو الأمية الوظيفي الذي يقدم خبرات تعليمية من خلال تقديم برامج تتصل بعمل الأميين أو حرفهم<sup>(١)</sup>.

(ب) مجال محو الأمية المستمر أو ما يعرف بمواصلة التعلم ويحوى برامج موجهة لمن كانت لهم فرصة للتعليم ثم انقطعوا عنه لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية حيث يتم تقديم برامج من خلال مؤسسات التعليم الموازي، وهي مؤسسات مفتوحة إلى حد ما، وليس فيها قيود وضوابط التعليم النظامي مما يسمح للمشاركين فيها بحرية الحركة وحرية التعلم. وتتميز هذه البرامج أيضاً بالمرونة من حيث إنها لا تشترط عمراً معيناً للدارس كما لا تحدد توقيتاً معيناً للدراسة. ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من مؤسسات التعليم الموازي.

أولها: عبارة عن مؤسسات لمواصلة التعليم العام، وغالباً ما تخضع لإشراف الوزارة المنوطة بالتعليم، والثاني: المؤسسات التي تعد أفرادها من الكبار لمواصلة التعليم العالي والجامعي، وثالثاً: مؤسسات التعليم الجامعي والمفتوح وهو التعليم الذي يكون مفتوحاً للجميع دون اشتراطات محددة.

(ج) الدراسات الحرة وهي برامج تهدف إلى زيادة معلومات الفرد حول موضوع معين ومن أمثلة المؤسسات في هذا الصدد مراكز تعليم اللغات، ومراكز الثقافة العمالية، ومراكز الخدمة العامة بالجامعات.

(١) محمد منير مرسى (١٩٩٧) الاتجاهات الحديثة في تعليم الكبار، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة ص ٤٦-٤٨.

(د) التأهيل والتدريب مثل مراكز التدريب السريع، والتدريب لرفع المهارة وأقسام التدريب بالوزارات المختلفة وغيرها.

(هـ) التدريب الأندراجوى وهو نمط من أنماط التدريب يضع فى الاعتبار حاجات المتدربين وأهدافهم التدريبية بطريقة تساعد على تحقيق التدريب المتمركز حول المتدرب، والذي هو أقرب إلى روح وطبيعة المتعلم الكبير<sup>(١)</sup>.

(و) إعداد القيادات والذي يتم من خلال مراكز البحوث والاستشارات، ومراكز إعداد القيادات الثقافية والعمالية، وكذا مراكز إعداد القيادات الإدارية، والفنية بالوزارات المختلفة.

(ز) تعليم الكبار بالمستوى الجامعى وهو الخبرات التى يحصل عليها الكبار الملتحقون ببرامج التعليم الجامعى النظامى وبرامج التعليم عن بعد، وما نمط جامعة للتعليم عن بعد المزمع تأسيسه إلا نمطاً يندرج تحت هذا المجال. كما أن مراكز التعليم المفتوح التى توجد حالياً فى جامعة القاهرة على سبيل المثال فى تخصصين هما التعليم التجارى، والتعليم الزراعى واستصلاح الأراضى، كما بدأت جامعة القاهرة أيضاً فى تقديم برامج فى الترجمة والدراسات القانونية والإعلام كلها تندرج تحت هذا النمط<sup>(٢)</sup>.

(ح) مجال التربية أو التنمية المستمرة للمهنيين والذي يحاول توفير المعلومات والمهارات لمختلف المهنيين من خلال برامج تقدم ما هو جديد ومستحدث فى مختلف المجالات المهنية. ويدخل ضمن هؤلاء بالطبع أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والأطباء والصيدلة والمحامون وغيرهم.

وبالنظر إلى أهم مجالات تعليم الكبار التى تم العرض لها آنفاً يلاحظ ما بينها من خصائص. فرواد تعليم الكبار يتراوحون بين الأميين وحديثى العهد بالقراءة والكتابة إلى أقصى مستويات التحصيل الدراسى، إذ ليس لتعليم الكبار سقف ينتهى إليه أو جماعة لا تستفيد منه. ولذلك فإن خصائص المتعلمين الكبار تمثل المحاور التى تدور حولها المضامين والأشكال التى ينتهجها تعليم الكبار، ومن ثم فإنها تتميز بالمرونة والتنوع. كما أن تعليم الكبار بدأ يخرج عن طبيعته اللانظامية إلى اشماله أيضاً على التعليم النظامى المدرسى بالإضافة

(١) محمد المصلى محمد سالم (١٩٩٩) الاتجاهات الحديثة فى تعليم الكبار فى المستوى الجامعى، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (٧٩)، ص ص ٦٥-٨٩.

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم (١٩٩٩) الشبكة العربية لتعليم الكبار - مفاهيم وتوجهات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ص ص ٤-٧.

إلى قيامه بمجموعة من الأدوار حسب مقتضيات السياسة التربوية. ومن ثم فقد أصبح تعليم الكبار يتأسس أيضاً على التعليم المدرسى، وفي إطار المناخ الفكرى والاجتماعى يقوم بمجموعة من الأدوار، وقد يصطبغ بصبغة أيديولوجية معينة.

وقد لا يجد الناس صعوبة كبيرة فى الحصول على صورة واضحة عن التعليم الابتدائى أو عن التعليم الثانوى أو التعليم العالى ولكن تعليم الكبار أصعب بكثير من تلك الحالات حتى أن تكوين صورة واضحة عنه تبدوا لأول وهلة أنها صعبة. فهو يحصل فى كل أنواع البناءات بل حتى أنه يحصل بدون وجود بناية وهو يتعامل مع أنواع عديدة من الناس وليس له منهج ثابت لا يتزعزع وغالباً ما يحصل ما هو من صميم تعليم الكبار ولكن لا يعطى هذه التسمية ولكن أموراً مثل: تطوير الهيئة التدريسية أو الإدارية، تطوير القوى البشرية، التربية المستمرة المتطورة، التربية أثناء الخدمة والتربية المستمرة والتعليم مدى الحياة (التعليم المستمر) وكثير وغيرها، تدخل فى مجال تعليم الكبار<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن تعدد مجالات تعليم الكبار، وغياب الطابع المؤسس عن بعض تلك المجالات له تأثيره الهام على ما يمكن إجرائه من بحوث.

والواقع أن هذا يصعب دراسة كثير من برامج تعليم الكبار التى لا تتم من خلال مؤسسات رسمية، كما يصعب تحديد عينات الدراسة، وتحديد الفئات العمرية، والمستويات التعليمية التى تدخل فى نطاق بحوث تعليم الكبار، بالإضافة إلى صعوبة إجراء بحوث طولية بسبب الفجوات الزمنية بين البرامج. كما أن هذه الطبيعة وتلك البرامج المختلفة تجعل الكثير من غير المتخصصين جزءاً من بنية معلمى الكبار ومنفذى برامجهم بل ومن عناصر الإدارة فيه مما يترتب عليه وجود عناصر قيادية غير متخصصة ببعض مؤسسات تعليم الكبار.

كما أن هذا التداخل من شأنه أن يضعف الاهتمام ببعض فئات الكبار بالمجتمع وما يودى إليه من ندرة إجراء البحوث عليهم. أضف إلى ذلك ضعف التواصل بين مؤسسات تعليم الكبار والمؤسسات البحثية المهمة به، مما يحد من الارتقاء بمستوى البحوث فيها ويقلل من فرص تبادل الخبرات والمشاركة فى البحوث الجماعية ناهيك عن الطبيعة التى يتميز بها تعليم الكبار مما يجعل المسؤولين عنه يتخذون القرارات السريعة دون الاعتماد على بحوث علمية رصينة.

(١) عابف حبيب ، عبد الجليل هنودى (١٩٨٩) "تطور مؤسسات التعليم العالى ودورها فى تعليم الكبار والتربية المستمرة فى الوطن العربى" علم تعليم الكبار ، الجزء الثالث، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الجهاز العربى لمحو الأمية وتعليم الكبار، ص ص ١٠١-١٢٤.

كما أن ضعف الاهتمام بإنشاء أقسام خاصة بتعليم الكبار داخل الجامعات ومراكز البحوث وغيرها له تأثيره السالب على البحوث في المجال. فهو من ناحية يقلل فرص الباحثين المهتمين بإجراء بحوث في تعليم الكبار، كما أنه من ناحية أخرى لا ينسب الباحثين الذين أجروا بحوثاً في تعليم الكبار إلى مجال تعليم الكبار طالما أنهم يعملون في أقسام أخرى.

### قضية التعددية الثقافية وبحوث تعليم الكبار:

إذا تتبعنا أدبيات التربية بصفة عامة في بدايات الألفية الثالثة، نجد أن اهتمام المربين يزداد نحو قضايا التعدد الثقافي في التربية Multicultural Education. ويصف بانكس<sup>(1)</sup> Banks التعددية الثقافية بأنها مجال للدراسة والبحث يتجاوز ما هو تقليدي من مجالات موجودة بالفعل في المجال التربوي، حيث هو بالنسبة له Metadiscipline، حيث يزداد اهتمام المتخصصين واهتمام المراكز البحثية بتحقيق الهدف الرئيسي من التعددية الثقافية والذي ينصب بصفة أساسية على زيادة فرص المساواة في التربية للجماعات الجنسية والعرقية والثقافية واللغوية المختلفة بالإضافة إلى ذوى الاحتياجات الخاصة من هؤلاء بعكس ما يحدث في الاتجاه التقليدي في البحوث إذا ينصرف الاهتمام إلى فئات بعينها من فئات المجتمع، وفي ذات الوقت إهمال فئات أخرى لا تقل عنها أهمية، كإهمال الاهتمام ببعض الجماعات الهامشية أو العرقية أو الاحتياجات الخاصة بالمجتمع، وذلك اعتماداً على بعض المبررات غير المنطقية، وغير العادلة في كثير من الأحيان.

ويشير داياز<sup>(2)</sup> Dias إلى أنه على الرغم من الأهمية التي يجب أن تحتلها قضايا التعدد الثقافي إلا أن ثمة فجوة كبيرة وهوة عميقة بين مفهوم التعددية الثقافية في التربية فيما يبين المتخصصين من ناحية وما بين الممارسين والباحثين من ناحية أخرى. ويضيف ديلبيت<sup>(3)</sup> Delpit أن التربويين بحاجة ماسة للتفكير جدياً في أمر ضعف نجاحهم في إقناع المعلمين ورجال الثقافة وعموم المجتمع بفكرة التعددية الثقافية وبأنها لا ترتبط باللون أو غيره بل هي بالأحرى ترتبط بالمجتمع الطلابي عامة.

(1) J. A. Banks (2000). "the social construction of difference and the quest for educational equality" In: R. Brandt (ED), Education in a new era (ASCD yearbook). Alexandria, VA: Association for supervision and Cupervision Development. PP. 21 – 45.

(2) Carlos F. Dias (2001) Multicultural education for the 21<sup>st</sup> century. New York: Longman. P. 11.

(3) L. Delpit (1998): other people's children. Cultural conflict in the classroom: New York: New press, P. 26.

ويؤكد بانكس وبانكس<sup>(1)</sup> على ضرورة توجيه البحوث بصفة عامة، والبحوث المرتبطة بدراسة المهاجرين في بلاد المهجر بحيث ترتبط بقضايا التعددية الثقافية مشيراً إلى أن كثيراً من المهاجرين إلى الولايات المتحدة على سبيل المثال من أوروبا وأستراليا وكندا وغيرها يواجهون من المشكلات التربوية ما هو مشابه لما يواجه قرناؤهم من الكبار المتعلمين في الولايات المتحدة، وأن البحوث العلمية هي التي يمكن أن تسهم في إقرار تلك الحقيقة.

وتشير أدبيات بحوث تعليم الكبار إلى أنه على الرغم من اتجاه نظر المهتمين بالتربية في الآونة الحديثة نحو فهم حاجات الكبار من جماعات عرقية وجنسية مختلفة من الأقليات في مجتمعات التعلم، إلا أن بحوث تعليم الكبار لم تظهر اتجاهاً مشابهاً.

ومع الاتجاه التقليدي السائد والمتمثل في قلة عرض مشكلات الكبار المتعلمين من الأقليات العرقية في برامج تعليم الكبار، فإنه يلزم طرح هذه القضية والاهتمام بها.

ويؤكد هودجكنسون<sup>(2)</sup> Hodgkinson على الاتجاهات الديموجرافية ومؤشراتها التي تفيد أنه بنهاية العقد الأول من القرن الحالى سوف تصبح الأقليات من السكان أغلبية في بعض المجتمعات في إشارة صريحة إلى ضرورة وضع ذلك في الاعتبار عند إعداد الخرائط البحثية في تعليم الكبار. ويعطى بير<sup>(3)</sup> pear أمثلة على ذلك في الولايات المتحدة حيث يذكر أن الأقلية ذات الأصول الأسبانية بها قد زادت ونمت بمقدار (٣٠%) منذ عام ١٩٨٠ بحيث تطورت خمسة أضعاف. ويشير بير Pear إلى أن (٢٥) مدرسة من المدارس العامة الكبيرة تحوى أغلبية من الأقليات، كما أن (٢٦%) من الأطفال الملتحقين بالمدارس العامة في الولايات المتحدة ليسوا من البيض.

وقد قام روز جوردون<sup>(4)</sup> Ross Grdon بتحليل محتوى دوريات متخصصة في التربية ليرى إلى أي حد يوجه ثمة اهتمام من قبل بحوث تعليم الكبار بالقطاعات المختلفة للسكان في علاقتها بالقضايا المختلفة في التربية، وتوصل إلى أن هذا الاهتمام كان متواضعاً.

---

(1) James A. Banks & Cherry A. Mc Gee Banks (2001) Multicultural education: Issues and perspectives. 4<sup>th</sup> Ed. New York: john wiley & Sons, Inc. P. 5.

(2) H.L. Hodgkinson (1985) Demographics and the economy: Understanding a changing Market place (special issue on Adult Recruitment) the Admission Strategic: Recruiting for the 1980s. New York: The college Board.

(3) R. Pear (1987) Hespanic population growing s times as fast as rest of U.S. New York times. September 11, section A. P. 1.

(4) Jovita M. Ross – Gordon (1991) OP. Cit.

كما حاول سورك<sup>(١)</sup> Sork أثناء استعراضه لأدبيات بحوث تعليم الكبار في علاقتها بالتعددية الثقافية إيجاد دعم أميريقي للقول بأن ثمة خريطة بحثية فعالة تهتم بإثارة الاهتمام بالبحوث المقترحة في هذا المجال، غير أنه توصل إلى أن بحوثاً قليلة نسبياً هي التي ترتبط بهذا المجال.

وتشير دراسة روز جوردون<sup>(٢)</sup> Ross – Gordon إلى بحث ثم إجراؤه عن قواعد البيانات بالحاسوب في مجلة التربية المعنونة (Current Index to Journal in (CIJE) Education

وقد وجد أن (١٥) مقالة فقط من واقع (١٥٠٠) منشورة منذ سنة ١٩٨٥ أي أقل من (١%) لها علاقة بتعليم الكبار والتي تحدد جماعات من الأقليات في الولايات المتحدة. كما أن (٥) مقالات فقط من عدد (١٥) مقالة تم نشرها في دوريات تهتم أساساً بتعليم الكبار وهي (Adult Education Quartely)، (Lifelong learning)، (Adult Literacy)، (Basic Education).

ومن خلال بحوث قواعد البيانات أيضاً في ملخصات رسائل الدكتوراه Dissertations Abstracts International وجد أن (٦٢) رسالة فقط من واقع (٩١٤) تم إجراؤها من سنة (١٩٨٥) حتى (١٩٨٩) ترتبط بالأقليات ويمثل ذلك نسبة (٦,٧%). وبفحص ملخصات تلك الرسائل ذات الارتباط وجد أن (١١) منها تشير إلى أقليات ولكن لا تحدها، و(٣) تركز على قضايا التعدد الثقافي ولكنها لا تشير إلى جماعة محددة، و(١٣) دراسة تحدد الجنسية الأسبانية كأقلية، و(٦) دراسات تحدد الأسيويين كأقلية، ودراسة واحدة تحدد الأمريكيين الأصليين. ويستخلص داركنوولد<sup>(٣)</sup> Darkenwald أن بحوث تعليم الكبار تستمر في أن تعكس أنماط من عدم المشاركة في تعليم الكبار.

وعلى الرغم من الطبيعة العالمية لتعليم الكبار، واشتمال مجالاته فئات مختلفة تمثل محور الاهتمام لفئات مختلفة من الكبار كالمهنيين من المعلمين والأطباء والمهندسين والمرضى وغيرهم، وكذا الحرفيين من المزارعين والكبار والملتحقين ببرامج الإرشاد الزراعي وغيرهم، والكبار في مؤسسات التدريب وكرليات المجتمع، والكبار المسنين، والكبار من ذوى المستويات التعليمية البسيطة، وغيرهم الكثير في البيئة السكانية العامة في المجتمع،

(1) T. Sork (1982) Meta \_ Research In Adult Education Through 1981: An historical analysis and critical appraisal. ERIC paper 307421.

(2) Jovita M. Ross – Gordon. Op. Cit.

(3) G.G. Darkenwald (1987). Assessing the social environment of adult classes. Studies in the education of Adults. 19 (2), 127 - 137 .

فإن ثمة تركيزاً من جل البحوث في تعليم الكبار في مصر ينصب على الاهتمام بفئات معينة هي في الغالب فئة الأميين وحتى عندما يشار إلى فئة الأميين الكبار نجد أن معظم الدراسات لا تحدد فئة هؤلاء الكبار، أهم البالغون؟ Mature adults، أو هم الكبار بصفة عامة Adults أم هم المسنون؟ Aged، أم هم الكبار الذين بلغوا سن الخامسة عشرة كما يحددهم تعريف اليونسكو وغير ذلك، ولا شك أن هذا يفضي بالضرورة إلى حرمان قطاعات كبيرة من الكبار في المجتمع من توجيه نظر البحوث إليهم.

وإذا تطرقنا إلى قضية نوى الحاجات الخاصة من الكبار في المجتمع نجد أن الصورة أكثر قتامة حيث أنه نادراً ما نجد بحوثاً في تعليم الكبار عن نوى الحاجات الخاصة أو الموهوبين أو غيرهم. كما أن الأمر لا يقل خطورة بالنسبة للمرأة لا سيما في الريف، حيث تقل إلى حد كبير البحوث عن المرأة في تعليم الكبار. والواقع أن لهذا أثره حيث تشير التقارير إلى أن المرأة هي أكثر فئة من فئات المجتمع تعاني من الفقر، كما أن هناك فجوة في مراحل التعليم بصفة عامة بين النساء ولا سيما في الريف<sup>(١)</sup>.

وحديثاً تطرقت بعض الدراسات إلى استراتيجيات تعليم الكبار في المناطق الأكثر احتياجاً<sup>(٢)</sup>، والتي لا يتوفر فيها الحد الأدنى لمقومات المعيشة الضرورية، وتعد تلك المناطق بؤرة للتوتر الاجتماعي والتلوث الأخلاقي والقيمي حيث أن سكان تلك المناطق بجميع فئاتهم العمرية يعانون التهميش، والتلوث البيئي والافتقار إلى التنشئة السليمة، والخدمات الأساسية ويصبح الإفراز الطبيعي لكل تداعيات المناطق الأكثر احتياجاً أحداثاً منحرفين وشباباً يسعى إلى الجريمة.

وقد أكد تقرير التنمية البشرية الصادر عن معهد التخطيط القومي عام ١٩٧٧، أن الفقر لا يعنى فقر الدخل، ولكنه يعنى فقر القدرات Capabilities بمعنى القدرات التعليمية والمعرفية والسلوكية والصحية والأخلاقية والغذائية وغيرها. ومن هنا فإن أطفال وشباب تلك المناطق المتعطل أو الذى يعمل هامشياً يقع فى كثير من الأحيان فريسة سهلة لأمراض المجتمع، ويكون مؤهلاً للانحراف والجريمة.

(١) جيهان رشتى (٢٠٠١) دور الإعلام فى قضايا تعليم وتدريب المرأة مؤتمر تعليم وتدريب المرأة فى ظل عالم متغير. جمعية المرأة والمجتمع مارس ٢٠٠١.

(٢) إبراهيم محمد إبراهيم، عبد الراضى إبراهيم محمد (٢٠٠٠) استراتيجيات تعليم الكبار فى المناطق الأكثر احتياجاً، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. ص ص ٣٩-٤٠.

ومن الواضح أن تلك القدرات والمعارف التي يشير إليها التقرير تعتمد اعتمادا وثيقا على بعضها البعض حيث يؤدي تجمعها في منطقة واحدة إلى حدوث الكوارث التي يصعب التنبؤ بآثارها على المدى الطويل.

وعلى الرغم من تركيز تلك الدراسات على برامج محو الأمية في المناطق العشوائية أو المناطق الأكثر احتياجا المتاخمة والواقعة في قلب القاهرة الكبرى إلا أن هذا يعد اتجاها لا بد أن يحظى بالتأييد ، حيث تطرقت إلى فئات كانت مهمشة في عملية إجراء البحوث عليها إضافة إلى كونها مهمشة في كافة سبل الحياة . ولا نحتاج إلى تأكيد علاقة القيام بالدراسات والبحوث - على بعض الفئات المحرومة - بالنتائج المتوقعة من البرامج التي تنفذ بناء على تلك الدراسات . حيث أن قيام بعض مؤسسات تعليم الكبار لتنفيذ برامجها واتخاذ قراراتها في غيبة الدراسات والبحوث المسبقة يؤدي بالضرورة إلى أن تأتي البرامج والقرارات غير مشبعة ولا متوافقة مع الاحتياجات الفعلية للفئات المستهدفة من المجتمع.

### قضية أخلاقيات المهنة وبحوث تعليم الكبار:

مما لا شك فيه أن قدرا كبيرا من العناية يعطى في الآونة الحاضرة للقضايا والمحددات الأخلاقية في التربية. وقد حاولت بعض الدراسات التصدى لقضايا الأخلاقيات في بحوث تعليم الكبار. وتشير نتائج تلك الدراسات بصفة عامة إلى أن البحوث التي تمت في الأخلاق Ethics في تعليم الكبار ليست كافية، وليس لها خط واضح بل قد لا يكون لها وجود في الأدبيات المهنية على الرغم من أهميتها فيما يرى كل من كون لي، لايت<sup>(1)</sup> Connelly & Light و جريفت<sup>(2)</sup> Griffith أن معظم البحوث كما ذكرنا يخلو من الإشارة إلى قضايا خلقية في تعليم الكبار أو اتجاهات الممارسين تجاه هذا الدستور الأخلاقي. وقد اقترح بروكييت<sup>(3)</sup> Brockett أسئلة بحثية كثيرة يجب أن تدرج في بحوث عن أخلاقيات تعليم الكبار انصب معظمها على اتجاهات الممارسين في مجالاته المختلفة. ويشير ريتش<sup>(4)</sup> Rich إلى أن قليلا جدا تم عمله لتبرير دستور مهني أخلاقي في ميدان تعليم الكبار مما يكون له تأثير سلبي على بحوثه.

(1) R. J. Connelly & K. M. Light (1991). An Interdisciplinary Code Of Ethics For Adult Education. Adult Education Quarterly, 41, 233 – 240.

(2) W.S. Griffith (1991) Do Adult Educators Need A Cod Of Ethics? Adult Learning. 2 (8), 4.

(3) R. Brockett (1988) Ethics And The Adult Educator. In: P. Brocket (Ed), Ethical Issues In Adult Education. New York: Teaches College, pp.1-16.

(4) J.M. Rich (1984) Professional Ethics In Education. The counseling Psychologist, 13, 444 – 465.

وقد حاولت دراسة ماكدونالد، وود<sup>(١)</sup> Macdonald & Wood استعراض ما تم من بحوث فى الأخلاقيات فى تعليم الكبار، وجاءت نتيجة التحليل أن تلك البحوث قد ركزت على قضايا فردية فى الموضوعات الخلقية ذات الارتباط بالإشراف التربوى والتعليم العالى ونمو التنظيم فى تعليم الكبار، ولم يكن ثمة دراسة عن الأخلاقيات بالنسبة للممارسين فى تعليم الكبار إلا واحدة فى الفترة من ١٩٨٢ حتى ١٩٩٢، وقد حاولت هذه الدراسة الوحيدة أن تسأل الممارسين من المدربين إعطاء أمثلة لبعض السلوك الملاحظ والذي يعتبرونه من وجهة نظرهم غير أخلاقى فى تدريب الممارسين. وقد أشارت الدراسة إلى بعض الجوانب للأخلاقية من خلال التحليل أهمها غياب النمو المهنى، سوء استخدام الثقة، عدم توى الصدق فيما يتعلق بمخرجات البرامج، سوء استخدام القائمين بالتدريب واستغلالهم، وغياب المتابعة. وقد أكدت الدراسة على ضرورة توفر السلوك الأخلاقى فى شخصية المربى الكبير، أو شخصية القائم بالتدريب حيث أن افتقاد ذلك ينتج عنه مخاطرة فى مجتمع التعلم تفوق إلى حد كبير الأداء المتعثر من قبل المربى أو المدرب. كما أن ذلك من شأنه إثبات القدرة لبحوث تعليم الكبار وتحديد هوية المجال والقدرة على التنبؤ، وصنع القرار لمؤسسات تعليم الكبار.

وقد يكون من الضرورى الإشارة إلى بعض القضايا الأخلاقية فى البحوث التربوية بصفة عامة التى ترتبط ببحوث تعليم الكبار بالضرورة على أنها جزء من البحث التربوى. وأولى تلك القضايا ترتبط بعينات الدراسة، أو الأفراد الذين ستجرى عليهم الدراسة، فهؤلاء لديهم الحق فى أن يعرفوا مسبقاً أهداف أو أغراض الدراسة التى سينخرطون فيها أو يوفدون معلومات كثيراً ما تكون لازمة لزوماً ضرورياً لإنهاء الدراسة. ولذا فإن الباحثين يجب أن يتأكدوا من التعريف المسبق لأهداف وأغراض الدراسة من خلال الأدوات التى يتم توزيعها على أفراد العينة. أيضاً لابد من الإشارة بوضوح إلى المكان أو الموضع الذى سيتم فيه نشر نتائج الدراسة حيث أنه من حق أفراد العينة معرفة ذلك. بالإضافة إلى هذا فلا بد من التأكيد على توفير الثقة والسرية الكاملتين فى التعامل مع ما سوف يدلى به أفراد العينة من بيانات إضافة إلى ضرورة التأكيد على إعلامهم بالنتائج التى تسفر عنها الدراسة طبقاً لرغبتهم فى ذلك، ولذا يجب أن يشار إلى ذلك بوضوح عند طلب معلومات من أفراد العينة.

---

(١) Kimberly S. Mcdonald & George S. Wood, Jr. (1993) Surveying adult education practitioners about ethical issues. Adult education Quarterly. Vol. 43, No 4, summer 1993, PP. 243 – 257.

## قضية طبيعة مؤسسات تعليم الكبار وبرامجها والمشكلات المرتبطة بها :

يكتسب عامل التنظيم أهمية خاصة في تنفيذ أنشطة تعليم الكبار، حيث تتطلب هذه الأنشطة أن يتم إنجازها بصورة منهجية منظمة، وفعالة بقصد المحافظة على استمراريتها. ومن هنا فلا بد من وجود مؤسسات ومنظمات ذات طبيعة خاصة تتولى توفيرها. فتعليم الكبار يحتاج إلى الابتكار في إقامة ترتيباته التنظيمية، ومؤسساته الخاصة، بل ويحتاج إلى علاقات مشتركة وتعاون شديد مع المؤسسات التعليمية والإرشادية القائمة. ويؤكد بولا<sup>(١)</sup> أن قضايا التنظيم ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعقيدة والسياسة اللتين تتحكمان في تعليم الكبار في أي مجتمع، فالحزب السياسي في دولة ما قد يأخذ المبادرة الرئيسية في تعليم الكبار، على حين تقوم بها الدولة في بلد آخر، والاتحادات التطوعية في بلد ثالث. كذلك يمكن أن يكون اتخاذ القرار بشأن تعليم الكبار مركزياً في نظام معين، ولا مركزياً في نظام آخر، وخليطاً متباين الأنواع بين المركزية والمحلية في ثالث، وفي غمرة ذلك يضعف التواصل والترابط بين المؤسسات العاملة في المجال خاصة فيما يتعلق بالنشاط البحثي الذي يعتمد عليه وعلى نتائجه مدى تقدم العمل والإنجاز في حقل تعليم الكبار. ومع التسليم بوجود مؤسسات معنية بأمر تعليم الكبار في الوطن العربي إلا أن اللقاني<sup>(٢)</sup> يؤكد حاجة تلك المؤسسات إلى تجديد وتطوير شامل كضرورة تفرضها مجريات التطور العلمي، فلم يعد تعليم الكبار حبيس المفهوم التقليدي ولم يعد يقصد به التعليم الأساسي أو الثقافة العامة أو غير ذلك من المعاني التي كانت سائدة في مراحل سابقة تطور فيها الفكر التربوي في هذا المجال، وفي إطار ذلك نشأت مؤسسات تعليم الكبار وبدأت في ممارسة البحث العلمي في حدود المفاهيم السائدة والمعاني القاصرة لتعليم الكبار، فأفرزت تلك المؤسسات بحوثاً أقل ما توصف به أنها بحوث لم تعد ذات جدوى في الوقت الراهن وفي ظل المفهوم الحديث لتعليم الكبار. ومن هذا المنطلق فإن تلك المؤسسات لا بد وأن تُحدَّث من أساليبها وإمكانياتها البشرية، بل ومصادر المعلومات بها وكل ما من شأنه أن يساعد على حسن توجيه البحث العلمي وفق المفهوم المتطور لتعليم الكبار، حيث لا بد أن يواكب ما حدث من تطور في المفهوم بحوثاً علمية متطورة سواء في المضمون أو الأسلوب لتصبح النتائج المتوقعة أداة لتطوير المجال.

وإذا كان البحث في مجال تعليم الكبار يحتاج إلى جهود الباحثين فهو في حاجة أكثر إلى الجهود المؤسسية، حيث أن هناك نوعية من البحوث تحتاج إلى الرؤى الشاملة والواسعة،

(١) هـ. س. بولا (١٩٩٨): تعليم الكبار. اتجاهات وقضايا عالمية، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٢) أحمد حسين اللقاني (١٩٩٨): بحوث تعليم الكبار في العالم العربي، مرجع سابق، ص ١١٩.

وبالتالى فإن المؤسسات البحثية فى مجال تعليم الكبار مطالبة بأن تمارس دوراً فاعلاً فى هذا المجال حيث تمتلك من الإمكانيات المادية والبشرية ما يساعدها فى إنجاز بحوث من هذا النوع. وسواء كانت البحوث فردية أو مؤسسية، فإنه من المفترض تكاملها فى إطار خطة واحدة، وذلك لتغطية المجال كله، وتقديم الحلول المناسبة لمشكلات هذا المجال الحيوى الذى لا يقل أهمية عن مجال تعليم الصغار فى إطار المنظومة التعليمية. وعلى الرغم من وجود الكثير من المؤسسات المعنية بمجال تعليم الكبار إلى جانب العديد من مراكز البحوث والكلديات والجامعات والمعاهد التى تجرى بحوثاً عديدة ومتنوعة لصالح المجال، إلا أنها تكون مكررة فى بعض الأحيان، فقد يتم تناول مشكلة معينة فى مؤسسة ما ويتم تناول ذات المشكلة فى أماكن أخرى، وفى هذا جهد كبير ضائع، مما يؤكد الحاجة الملحة إلى التنسيق المحلى وضرورة التعاون الإقليمى فى مجال بحوث تعليم الكبار.

وبناء على ذلك فلا بد من وضع ملامح خطة عامة أو خريطة بحثية نحتاج إليها فى الوطن العربى فى مجال تعليم الكبار، وذلك يعد موجهاً للأفراد والمؤسسات البحثية المعنية بهذا الأمر، ويجب مراجعة هذه الخريطة بصفة دورية لتلائم الظروف والمتغيرات التى تفرض نفسها على واقع كل دولة بحث تشكل ميثاقاً أكاديمياً يعتمد عليه الباحثين والمؤسسات البحثية فى المجال، بمعنى أن كل من يعملون فى هذا المجال لابد أن يكونوا على دراية كاملة لما جرى وبما يجرى حالياً من بحوث فى هذا المجال<sup>(١)</sup>، حتى يمكن تكثيف الجهود وتطويرها واستثمارها بشكل أفضل، وإذا كان التعاون المؤسسى على المستوى المحلى والإقليمى مطلوباً، فهو أيضاً فى غاية الأهمية على المستوى الدولى، فهناك الكثير من الدول تعرضت لمشكلات أساسية وهامة فى المجال فى وقت سابق، وبالتالي كان لزاماً عليها أن تبحثها وتجد الحلول المناسبة لها، ومن هنا فإنه لا ينبغى أن نعيد دراسة هذه المشكلات من جديد، ولكن لابد من البدء من حيث انتهى السابقون، حتى يتم الاستفادة من تراكمات الأجيال المتعاقبة من الباحثين على الرغم من الاختلافات فى انتماءهم الزمانية والمكانية.

وتجدر الإشارة إلى أن إحداث هذا التواصل المحلى والإقليمى بل والعالمى يحتاج لبذل الجهد مع ضرورة توفر القناعة المشتركة لدى الجميع بأهمية حدوث هذا التواصل والسترابط والتنسيق. وهذا يحتاج إلى جهود إعلامية متقدمة، فالبحوث عندما تتم فى دولة ما من الدول العربية أو الأجنبية، لابد أن يجد الباحث العربى ما يساعده على معرفة ما يجرى على أى مستوى من بحوث، كما أنه عندما يقوم ببحث ما لابد أن يكون هناك وسيلة ما لإعلام الآخرين

(١) أحمد حسين اللقانى (١٩٩٨) المرجع السابق ص ص ١١٧، ١١٨.

به، وذلك حتى تكون هناك شبكة كاملة من الاتصالات التي من شأنها أن تقدم إعلاماً تربوياً جاداً في مجال البحث التربوي لتعليم الكبار<sup>(١)</sup>. والحقيقة أن هذه المسألة تخص المؤسسات البحثية في المجال أكثر من وسائل الإعلام إذ لا بد أن تمتلك المؤسسات وسائل للنشر كافية لتعريف كل باحث أو مؤسسة بحثية بما تم من البحوث حتى لا يحدث التكرار والازدواجية. وتأكيداً لذلك فإن تقريراً عن التنمية في العالم<sup>(٢)</sup> يشير إلى أنه على الرغم من أن القنوات التقليدية للاتصال سوف تبقى مهمة، فإن التكنولوجيات الجديدة للمعلومات والاتصالات تتمتع بقدرة كبيرة على نشر المعرفة على نطاق واسع بتكاليف منخفضة، وعلى تقليل فجوة المعرفة داخل البلد الواحد وكذلك بين البلدان المتقدمة والنامية. وعلى الرغم من الاقتناع الشديد لدى البعض بأهمية التنسيق واستخدام تقنيات الاتصال الجديدة لتحقيق أهداف التواصل المؤسسي إلا أن بعض الدراسات<sup>(٣)</sup> تشير إلى وجود خلل في العلاقة بين معاهد التعليم العالي وتعليم الكبار، إذ تدل الصورة العامة للجامعات العربية على أن الاتجاه الغالب على نشاطها هو التركيز على تعليم الطلاب النظاميين، والقيام ببعض البحوث الأكاديمية دون أن تحظى مشكلات تعليم الكبار ومحو الأمية من هذه الجامعات بما تستحقه من عناية، بالرغم مما تتطلبه هذه المشكلات من آثار بالغة الخطورة على حياة الفرد وتقدم المجتمعات العربية على السواء. يضاف إلى ذلك الفكرة الخاطئة التي تقول بأن وظيفة الجامعة هي تعليم طلابها، ورفع مستوى المعرفة ولذلك فهي غير مطالبة بأن تشترك في تعليم الناس خارج الجامعة أو أن تنزل إلى مستوى أدنى من ذلك. كما أشارت إحدى الدراسات<sup>(٤)</sup> التي تصدت لدراسة موضوع الجامعات وتحديات تعليم الكبار، إلى أن معظم الجامعات في المنطقة العربية لم تهتم بتعليم الكبار وأنها تعمل تحت ضغوط متعددة من أهمها عدم رغبة رجال الإدارة وواضعي السياسات من هيئات الجامعة في إقرار الاعتمادات المالية اللازمة. وفي محاولة للتعرف على

(١) أحمد حسين اللقاني (١٩٩٨) المرجع السابق ص ١١٩.

(٢) البنك الدولي (١٩٩٩) المعرفة طريق إلى التنمية، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٩/٩٨. الطبعة العربية. القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٥٦.

(٣) المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي (١٩٧٢) دعم العلاقات بين الجامعات العربية والمركز القومي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي في مجالات تعليم الكبار ومحو الأمية، صحيفة آراء يناير (١٩٧٢).

(٤) عبد الواحد يوسف (١٩٧٦) الجامعات وتحديات تعليم الكبار في العالم العربي، صحيفة آراء. السنة السادسة، العددان الأول والثاني، ١٩٧٦. سرس اللبان. المركز الدولي للتعليم الوظيفي ص ١٧١، ١٧٢ مرجعي ٤، ٣ نقلًا عن:

نبيل صبيح (١٩٩٤) مجلة تعليم الجماهير العدد (٤١)، السنة (١١) ص ١٠١.

الدور الذى دعت إليه مؤتمرات اليونسكو الدولية فيما يخص الاهتمام ببحوث تعليم الكبار والتركيز على الدور المفترض أن تقوم مؤسساته بأدائه مع التركيز على دور الجامعات كمؤسسات تعمل فى مجال تعليم الكبار. وبالعرض لتلك المؤتمرات<sup>(١)</sup> والتي جمعت بين رجال تعليم الكبار من كل أنحاء العالم للتفكير فى مستقبله نجد أن المؤتمرون فى السينور عام (١٩٤٩) كانوا على اتفاق تام بعدم وجود أى تعارض بين الجامعة كمركز للبحوث العلمية وبين كونها مؤسسة لتأمين الاهتمامات الثقافية للشعب. ودعا مؤتمر السينور كافة الجامعات إلى القيام بدور فعال فى المجتمع المحلى من خلال تقديم درجات علمية للدراسات الإضافية التى تتم فى أقسام الدراسات الخارجية. كما دعيت الجامعات بصفة خاصة إلى إجراء البحوث حول فعالية هيئات تعليم الكبار وطرق تعليم الكبار مع تفضيل إجرائها بالتعاون مع حركات تعليم الكبار التطوعية. وطالب المؤتمر أقسام تعليم الكبار بالجامعات أيضاً بالقيام بدور فى تعليم الأقسام الشقيقة لها داخل الجامعات بصورة تجعل هذه الأقسام حساسة بحاجات الكبار فى المجتمع وأكثر قدرة على الاستجابة لها والتواصل معها، وتوقع المؤتمر حدوث مشكلات تتسبب بين مختلف أجهزة الدولة، وتساءل عن الطرق التى يمكن بها تحقيق التعامل بين مختلف الوزارات لتأمين حاجات المواطن من تعليم الكبار. واتخذ المؤتمر موقفاً مسئولاً أعلن فيه ضرورة السماح لمؤسسات تعليم الكبار أن تكون متخصصة بحسب البيئة والدولة القائمة بها. ودعيت الدول إلى دعم الاتحادات التطوعية بالمال والمعونات الخدمية والمواد التعليمية وغيرها. وركز مؤتمر السينور أيضاً على مسألة الترابط المؤسسى بين التعليم النظامى وتعليم الكبار، كما شجع رجال تعليم الكبار على الاستفادة من الهياكل المؤسسية القائمة لنقابات العمال، والمصانع، والتعاونيات والمراكز الاجتماعية الخ، ومن الواضح أن النطاق الكامل للقضايا التنظيمية بدءاً من المستوى المحلى وصولاً إلى المستوى العالمى قد لقيت الاهتمام من المشاركين فى مؤتمر السينور.

ولاحظ المؤتمرون فى مونتريال (١٩٦٠) أن البحوث فى مجت التعليم قد وصلت إلى مرحلة متقدمة على حين لم توجه الجامعات إلى تعليم الكبار سوى النذر اليسير من الاهتمام. وأعلن المؤتمر أن هناك تساؤلات هامة وقضايا ملحة تتعلق بمنحى شتى من تعليم الكبار وأن ذلك فى حاجة إلى عون من العلماء والباحثين وناقش المؤتمر مشكلات التنسيق التنظيمى بين أنشطة تعليم الكبار الحكومية وغير الحكومية، واقترح للمرة الأولى إمكانية إنشاء اتحاد عالمى فى مجال تعليم الكبار.

(١) هـ. س. بولا (١٩٩٨): مرجع سابق ص ص ٤٨-٥١، ٩٤-١٠٠.

ولقد وجه مؤتمر طوكيو (١٩٧٢) خطابه مباشرة إلى اليونسكو فأوصى بأن تتبنى منظمة اليونسكو بحثاً منهجية قصد وضع معايير لتصنيف أنشطة تعليم الكبار وهو ما يمكن الاستفادة منه بعد ذلك في وضع بيانات إحصائية حول تنفيذ مختلف البرامج التي تم تصنيفها. ودعا مؤتمر طوكيو الجامعات إلى الاعتراف بتعليم الكبار كفرع من أفرع المعرفة العلمية وتخصيص الموارد اللازمة له لإجراء البحوث في نطاق هذا العلم الجديد. ووضع مؤتمر طوكيو برنامجاً للبحوث التي تدور حول تعليم الكبار، كما أولى المؤتمر اهتماماً كبيراً إلى الجوانب المؤسسية في تعليم الكبار فأوصى الدول الأعضاء في اليونسكو إلى إنشاء اتحادات أو مجالس وطنية لتعبئة مشاركة كل المنظمات المختلفة التي تتعامل مع تعليم الكبار، كما ينبغي أن يتوازي مع إقامة هذه الاتحادات معاهد وطنية لتعليم الكبار لتعمل في شكل مراكز توثيق ومعلومات ومراكز للتبادل وهيئات لتنسيق العمل في تعليم الكبار في الدولة. وأوصى المؤتمر بتأمين تعاون مؤسسي بين المنظمات الحكومية، وغير الحكومية بما في ذلك نقابات العمال واتحادات الموظفين، وغيرها من المنظمات التطوعية، كما أوصى باستمرارية مؤسسات تعليم الكبار الإقليمية، وحذر مؤتمر طوكيو بالأخص بتحويل تعليم الكبار إلى درجة الإفراط المؤسسي وبالتالي صبغه بالصبغة النظامية كما هو الحال بالنسبة للتعليم النظامي، وفيما يتصل بالتدريب، حدد مؤتمر طوكيو مهمة كبيرة للجامعات حيث دعاها إلى تدريب الموظفين الذين تحتاج إليهم أنشطة تعليم الكبار من خلال مقررات تنتهي بمنحهم شهادة أو دبلوم أو درجة علمية، وتوفير دراسات إضافية ومقررات إنعاشية للمهنيين العاملين بالمجتمعات المحيطة بها قصد ترقية وتجديد معلوماتهم ومهاراتهم وفتح فرص الالتحاق بها للكبار البالغين من النساء والرجال بحيث يصبح في مقدورهم الحصول على الشهادات والدرجات العلمية.

وخلال مؤتمر باريس (١٩٨٥) تواصل طرح موضوع الحاجة إلى البحوث في مجال تعليم الكبار، والدور الضروري للجامعات كمؤسسات تعليمية في تعزيز بحوث تعليم الكبار، وطرح المؤتمر اقتراحاً عاماً بوضع معايير لتقويم برامج تعليم الكبار، كما طوَّبت الجامعات بأن تجرى بحثاً حول تنظيم هياكل جديدة في المؤسسات المسؤولة عن تعليم الكبار، ودعى المؤتمر إلى وضع واختيار أسلوب منهجي لجمع البيانات الإحصائية اللازمة لاتخاذ القرارات عند تخطيط البرامج، وأوضح الحاجة إلى إنشاء مراكز توثيق لنشر البحوث من أجل تحقيق التواصل بين المؤسسات العاملة في المجال ودعا إلى ربط البحوث بخبرات المشاركين. كما أوصى المؤتمر بضرورة تحقيق التكامل فيما بين مختلف مؤسسات تعليم الكبار وبين مؤسسات التعليم النظامي في إطار التعليم مدى الحياة.

## خلاصة واستنتاجات :

يتضح من العرض السابق للمشكلات التي تواجه البحث في تعليم الكبار كما تعكسها الدراسات السابقة، والقضايا الرئيسية المتعلقة به أن أهم مجالات البحث في تعليم الكبار وما يندرج تحتها من مشكلات هي :

### ١- مجال مفهوم تعليم الكبار ، ويندرج تحته المشكلات التالية:

- تداخل المفاهيم .
- ضيق النظرة إلى المفهوم واعتباره مرادفاً لمحو الأمية.
- حداثة المفاهيم .

### ٢- مجال طبيعة تعليم الكبار، ويندرج تحته المشكلات الآتية:

- بعد تعليم الكبار عن بؤرة اهتمام المسؤولين .
- غياب الفلسفة الحاكمة للممارسات في المجال .
- اللجوء إلى بعض الأساليب المتبعة في تعليم الصغار.
- صعوبة تحديد الفئات العمرية والمستويات التعليمية.

### ٣- مجال طبيعة مؤسسات تعليم الكبار وبرامجها .

- غياب الطابع المؤسسى عن بعض المجالات .
- صعوبة إجراء دراسات بحثية طويلة .
- ضعف الاهتمام ببعض الفئات .
- اتخاذ القرارات دون الاعتماد على البحوث.
- ضعف التواصل بين المؤسسات البحثية.
- وجود عناصر قيادية غير متخصصة.

### ٤- مجال مصادر التعلم المستخدمة في تعليم الكبار.

- ارتفاع أسعار المراجع .
- ضعف امتلاك الباحثين لمقومات اللغات الأجنبية ومهارات تكنولوجيا المعلومات.
- ندرة تدريس مقررات تعليم الكبار .
- ندرة وجود أقسام أكاديمية لتعليم الكبار .
- عدم وجود خريطة بحثية لمجال تعليم الكبار .
- قلة توافر البيانات عن بعض فئات الكبار، وتضارب الإحصائيات.
- ندرة المشرفين والمحكمين المتخصصين .

٥- مجال المقاييس والأدوات المستخدمة فى تعليم الكبار.

- عدم شيوع مصطلحات تعليم الكبار فى المجتمع وتغريب بعض المفاهيم.

- ندرة المقاييس العربية.

- صعوبة تطبيق أدوات البحث فى بعض المجالات.

٦- مجال تمويل بحوث تعليم الكبار.

- ضعف المخصصات المالية لتعليم الكبار.

- عدم التنسيق مما يؤدى إلى تكرار البحوث .

- ارتفاع تكاليف إجراء البحث فى تعليم الكبار .

أما عن مدى مواجهة الباحثين فى تعليم الكبار لهذه المشكلات والأداة التى تقيس ذلك

فسوف يتم استعراضه من خلال الدراسة الميدانية وإجراءاتها.